

الحلقة الأربعون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

صديقي المستمع، هل رأيت مرّة أعمى وقد حمل عصا وهو يحاول أن يتلمّس طريقه؟ وماذا كان موقفك منه؟ وهل حاولت أن تساعد؟ ربما أشفقت عليه، وشكرت الله على نعمته أنه أعطاك عينين سليميتين لكي ترى بهما. لكن تخيل معي مستمعي أنك رأيت يوماً أعمى يقود أعمى، ستستغرب بالطبع. لكن ماذا ستكون النتيجة؟ أليس هناك احتمال كبير أن يسقط كلاهما في الحفرة؟ بالتأكيد إن هذا وارد جداً. أو لم يكن من الأفضل أن يطلب الأعمى من شخص مفتوح العينين أن يقوده، حتى يسير في الطريق بشكل آمن.

هل تعلم مستمعي أن هذا الوصف ينطبق أيضاً على تديننا وحياتنا الروحية؟ فهناك أناس عميان روحياً جعلوا من أنفسهم قادة روحيين، ويحاولون أن يقودوا جماهير الشعب العميان روحياً أيضاً. فتكون النتيجة أن يضلّوا الشعب، وهكذا يهلكون أنفسهم والناس معهم.

لقد أتى تلاميذ المسيح مرّة إليه قائلين: أن الفريسيين وهم جماعة يهودية متزمتة قد استأعوا من كلامه: أن ما يخرج من الفم هو الذي ينجس الإنسان، فأجابهم المسيح قائلاً: «كُلُّ غَرَسٍ لَمْ يَغْرِسْهُ أَبِي السَّمَاوِيِّ يُقْلَعُ. اُتْرَكُوهُمْ. هُمْ عُمَيَانٌ قَادَةٌ عُمَيَانٍ. وَإِنْ كَانَ أَعْمَى يَقُودُ أَعْمَى يَسْقُطَانِ كِلَاهُمَا فِي حُفْرَةٍ» (بشارة متى ١٥: ١٣-١٤).

هل تعلم مستمعي أنه يوجد اليوم أيضاً دعاة ومعلّمون للدين هم عميان ويضلّون الشعب بتعاليمهم الباطلة؟ أي ينطبق عليهم قول المخلص المسيح أعمى يقود أعمى، وتكون النتيجة أنهم يقودون الناس إلى الهلاك. سننأمل الآن بحديث المسيح الهام هذا.

مستمعي الكريم، لقد بدأ المسيح إجابته لتلاميذه بالقول: «كُلُّ غَرَسٍ لَمْ يَغْرِسْهُ أَبِي السَّمَاءِويُّ يُقْلَعُ». وهذا يشير إلى أن الله الأب السماوي هو الذي يقيم ويعين بعض الناس ويعطيهم القدرة والموهبة، لكي يصبحوا قادة ومعلمين دينيين وروحيين. أي أن الأمر لا يتعلّق بالإنسان نفسه بل بالله. فأولئك الفريسيون وكذلك الكثيرون من معلّمي اليوم ودعاته، هم الذين أقاموا أنفسهم دعاة ومعلّمين وليس الله الذي أقامهم. ولهذا حكم الله عليهم بالقلع أي بعدم صلاحيتهم كمعلّمين أو دعاة. وتمّ فيهم وصف النبي إشعياء: «وَصَارَ مُرْشِدُو هَذَا الشَّعْبِ مُضِلِّينَ، وَمُرْشِدُوهُ مُبْتَلَعِينَ» (إشعياء ١٦: ٩).

فهؤلاء المعلمون والقادة صاروا مضلّين للشعب. وها هو المسيح يصرّح في مناسبة أخرى قائلاً: «كُلُّ غُصْنٍ فِيَّ لَا يَأْتِي بِثَمَرٍ يُنْزَعُهُ» (بشارة يوحنا ١٥: ٢). ولنلاحظ قول المسيح أن الغصن الذي لا يأتي بثمر يُنْزَعُ. فعندما لا يكون الله هو المصدر الحقيقي للمعلّم، فلن يكون هناك أي ثمر روعي، ولهذا ينزعه الله. ولهذا لم يكن غريباً أن يصف المسيح أولئك القادة والمعلّمين بأنهم عميان قادة عميان، وعندها لا بدّ أن يسقطوا هم والناس العميان الذين يقودونهم في الحفرة. لكن ما هي أهم صفات أولئك القادة العميان؟ من الواضح أنهم يهتمون بالمظاهر الخارجية وليس بتطهير القلب من الداخل. وهو ما نبّه إليه المسيح عندما قال:

«وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكُتَّابَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ الْمُرَاوُونَ! لِأَنَّكُمْ تَقُونُ خَارِجَ الْكُأْسِ وَالصَّحْفَةِ، وَهَمَّا مِنْ دَاخِلٍ مَمْلُوءَانِ اخْتِطَافًا وَدَعَارَةً. أَيُّهَا الْفَرِيسِيُّ الْأَعْمَى! نَقِّ أَوَّلًا دَاخِلَ الْكُأْسِ وَالصَّحْفَةِ لِكَيْ يَكُونَ خَارِجُهُمَا أَيْضًا نَقِيًّا» (بشارة متى ٢٣: ٢٥-٢٦). أجل إن أولئك القادة العميان لا يهتمون بتطهير نفوسهم في الداخل. إن الناس يا صديقي هم بحاجة إلى من يساعدهم وينير أمامهم الطريق ويرشدهم، وليس إلى أعمى يقودهم إلى الهاوية والخراب. إنها بالفعل نتيجة مؤلمة وقاسية. ولهذا يصبح من المهم أن لا ينخدع الإنسان بهؤلاء المعلّمين والقادة المزيفين. لكن كيف بنا نتجنّب أمثال هؤلاء القادة العميان؟

أجل مستمعي كيف بنا نتجنّب أمثال هؤلاء القادة والمعلّمين العميان؟ لعلّ أهم العلامات التي تشير إلى زيف هؤلاء المعلّمين هو أنانيتهم واهتمامهم بالطقوس والفرائض وغسل الجسد من الخارج وليس إلى تطهير القلب الشرير من الداخل. وهو ما شدّد عليه المخلص المسيح. وعلى ضوء هذه الحقيقة نستطيع فحص تعليم هؤلاء المعلّمين العميان، لنلا يقودونا إلى الهلاك. فهل هم أنفسهم قد طهّروا قلوبهم أو حياتهم من الخطيئة؟ وهل يفرضون علينا أن نقوم بالفرائض الدينية والواجبات وغسل الجسد؟ فإذا كان الجواب بالإيجاب فهذا يعني أنهم قادة ومعلّمون عمياناً.

وفي نفس الوقت علينا أن نتوجّه إلى المصدر الحقيقي لمعرفة الله الذي هو: كلمة الله الحيّة كما جاءت في الكتاب المقدّس. هذا المصدر الذي يكشف لنا حقيقة نفوسنا الخاطئة، ويدعونا لكي نؤمن بالمخلّص المسيح الذي بذل جسده على الصليب فداء لخطايانا، وقام من بين الأموات لكي يهبنا الغفران والخلود.

هل تعلم مستمعي أن المخلّص المسيح هو الوحيد الذي قال عن نفسه: «أنا هو نور العالم. مَنْ يَتَّبِعُنِي فَلَا يَمُشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الحَيَاةِ» (بشارة يوحنا ٨: ١٢). فهو النور الحقيقي الذي أتى إلى عالمنا لكي يطرد الظلمة من قلوبنا، وينير حياتنا، ولينقذنا من العمى الروحي ويحل مكانه البصيرة الروحية. ألا يستحق المخلّص المسيح أن نتبعه ونهتدي بتعاليمه؟ فهو الوحيد القادر على تحريرنا من عبودية الخطيّة، وتطهير قلوبنا من الداخل. وليس هذا فحسب بل ليخلقنا خليفة روحية جديدة، وليجعلنا من أولاد الله المبرّرين. وهكذا نحظى بالغفران الكامل عن ذنوبنا، ونتأكد من نوالنا الحياة الأبدية.

ألا تود مستمعي أن تتبع هذا النور الحقيقي المعلم العظيم الرب يسوع المسيح؟ ألا تثق أنه هو الوحيد القادر على تطهير قلبك من الداخل وتحريرك من عبودية الخطيّة؟ لم لا تؤمن الآن بهذا المخلّص الفريد الذي بذل نفسه من أجلك على الصليب لكي يهبك الغفران والحياة الجديدة والخلود؟